

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[546] يرجعون). والآية الآتية الذكر تبين المعنى الواسع حول ارتباط الفساد بالذنوب، الذي لا يختص بأرض "مكة" والحجاز، ولا بعصر النبى (صلى الله عليه وآله)، بل هو من قبيل القضية الحقيقية التي تبين العلاقة بين الموضوع والمحمول! وبعبارة أخرى: حيثما ظهر الفساد فهو انعكاس لأعمال الناس وفيه - ضمناً - هدف تربوي، ليزوق الناس "طعم العلقم" نتيجة أعمالهم، لعلهم ينتهون ويثوبون إلى رشدهم! ويقول بعضهم: إن هذه الآية ناظرة إلى القحط و "الجذب" الذي أصاب المشركين بسبب دعاء النبى (صلى الله عليه وآله) على مشركي مكة!... فانقطعت المُنزَن ويَبست الصحاري، وصار من الصعب عليهم الصيد من البحر الأحمر أيضاً. وعلى فرض أن يكون هذا الكلام صحيحاً تاريخياً، إلا أنه بيان لأحد المصاديق ولا يحدد معنى الآية في مسألة ارتباط الفساد بالذنوب، فهي ليست محدّدة بذلك الزمان والمكان، ولا بالجذب وانقطاع "الغيث". وممّا ذكرناه آنفاً يتّضح جيداً أن كثيراً من التفسيرات المحدودة والضيقة التي نقلها بعض المفسّرين في ذيل الآية غير مقبولة بأي وجه. كما فسّروا الفساد في الأرض بأنه قتل "هابيل" على يد "قابيل"، أو أن المراد بالفساد في البحر هو غصب السفن في عصر موسى، والخضر (عليهم السلام). أو أن المراد من الفساد في البر والبحر هو ظهور الحكّام المتسلطين الفاسدين الذين يشيعون الفساد في جميع هذه المناطق!. وبالطبع فإنّ الممكن أن تكون مصاديق الآية مثل هؤلاء الأفراد الذين يتسلطون على الناس نتيجة الدنيا والمجاملة وجرّ الناس للذل، ولكن من المسلّم به أن هذا المصداق لا يعني تخصيص مفهوم الآية!. كما أن جماعة من المفسّرين بحثوا في معنى الفساد في البحر أيضاً، فقال